المطلب الرابع عشر

وحدة المنهج السلفي في الحديث عن الذات والصفات وسائر الغيبيات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن أثر عقيدة التفويض في الدعوة إلى عدم الكلام في توحيد الأسماء الصفات مع كونه من أشرف العلوم والموضوعات، وبينا أسباب القول بتفويض معاني نصوص الصفات، وادعاء أن كلام الله بلا معنى في هذا الباب، وما يترتب على ذلك من اللوازم الباطلة. ثم ضربنا بعض الأمثلة التطبيقية التي تدل على فهم حقيقة التفويض والفرق بين معتقد السلف والخلف في إثبات المعنى والجهل بالكيفية .

وبينا أن التفويض هو آخر مهرب لكل من قدم العقل على النقل، وأن المعارضين للسلف ينتهون إما إلى التأويل أو التفويض، وهما مذهبان باطلان، كما علمنا خطأ من زعم أن قول السلف في سائر الصفات: المعنى معلوم، أي معلوم وجوده في القرآن.

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله الحديث عن وحدة المنهج

السلفي في الإيمان بما جاء في الوحي كله على نسق واحد، سواء في باب الأسماء والصفات، أو في سائر الغيبيات والموضوعات الأخرى، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **شمولية المنهج في الحديث عن الذات والصفات.**

من أبرز القواعد التي قام عليها اعتقاد السلف الصالح، الإيمان بما جاء في الوحي كله، سواء في الأسماء والصفات، أو سائر الغيبيات والموضوعات الأخرى، فالوحي وحدة واحدة، لا بد من أن نذعن له كله، ونسلم بكل ما جاء فيه على وجه المحبة والتعظيم، لعلمنا أن الله ﷻ يريد لنا الخير، وهو أعلم بما ينفعنا من أنفسنا.

وهذا معنى الإيمان في حديث سُفْيَان بْنِ عَبْدِ الله الثَّقَفِيِّ ﵁ حيث قَال: (قُلتُ يَا رَسُول الله: قُل لي فِي الإِسْلامِ قَوْلا، لا أَسْأَل عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَال: قُل آمَنْتُ بِالله فَاسْتَقِمْ) [(١)].

ومن ثم فإن الله ﷻ إذا أخبرنا بشيء صدقناه في كل ما أخبر، وإذا أمر بشيء نفذناه في كل ما أمر، ونستقيم على ذلك مدى الحياة، فهذا مقتضى الإيمان الحق.

ومن الواجب أيضا الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة الثابتة بكل ما فيهما لمعرفة الدليل على الموضوع الواحد، سواء في باب توحيد الأسماء والصفات، أو غيره من أبواب العقيدة والشريعة. وذلك لكي يكون

---

(١) مسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام ١/٦٥ (٣٨).

المنهج منهجا صحيحا نابعا من القرآن والسنة بالفعل، فالقرآن هو كلام الله تعالى إلى عباده، الذي يمثل نورا لهم. وعباد الله متعددون في النوعية ومختلفون في العقلية، يختلفون ويتنوعون زمانا ومكانا.

كما أن القرآن يتحدث عن كثير من الحقائق، ويعرض كثيرا من الموضوعات، لكنها ليست في خطة دراسية مكونة من أبواب وفصول، أو مباحث جزئية، أو مطالب بحثية، للحصول على درجة التخصص أو الإجازة العالية، فليس فيه باب مستقل عن الصلاة، أو فصل مختص بالزكاة، أو غير ذلك من أحكام الله ﷻ، ولكن الموضوع الواحد قد يكون مطروحا في سور القرآن العديدة التي تضم آلاف الآيات والجمل والكلمات.

والله ﷻ ترك الاجتهاد مفتوحا لجمع المعلومات، والنظر في الأدلة لموضوع من الموضوعات، وذلك حتى يرفع الله ﷻ الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات، فالقرآن نور لمن نور الله ﷻ بصيرته في النظر إلى الآيات، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ الشورى:٥٢.

ولا بد لكل مسلم أن يعلم أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، فما أجمله في موضع، أفاض فيه في موضع آخر، فينبغي علينا حتى نتعرف على دليل من القرآن والسنة لحقيقة غيبية أو مشهودة واقعية، أو أي

موضوع من الموضوعات، ينبغي علينا أن ننظر في جميع الآيات، وما ثبت في السنة من الأخبار والمرويات.وأن تكون نظرتنا للقرآن والسنة نظرة شاملة، حتى نخرج بالحقيقة صحيحة كاملة، ولو اقتصر الأمر على بعض الآيات دون بعض، فسوف نصل إلى حقيقة مشوهة ناقصة، وتبريرات عقلية خاوية مفلسة، أو سنصل إلى جزء من الحقيقة في القرآن والسنة دون الأخر.

فمثلا في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ الماعون:٤. إذا وقفت عندها يصبح معناها وعيدا للمصلين، وحجة للعصاة والمفسدين، ولو وصلتها بما بعدها لبان لك مراد رب العالمين، حيث يقول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ الماعون:٤/٧.

والأمر الذي وقع فيه كثير من طوائف المسلمين وفرقهم، هو عدم أخذهم للأدلة كلها كوحدة واحدة، في الموضوع الواحد، شأنهم في ذلك شأن علماء بني إسرائيل وأحبارهم مع كتابهم، أخذوا بعض الكتاب ليوافق آراءهم وعقولهم وأهواءهم، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، فبدلوا وغيروا وأولوا وحرفوا، تحريفا لفظيا، أو تحريفا معنويا يقوم على إخفاء بعض الحقائق وإلغائها، أو التغاضي عنها وتكذيبها، أو كفر الأحكام بتغطيتها وجحودها.

قال تعالى في وصفهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ

﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥﴾ البقرة:٨٤/٨٥.

وإذا كان بنو إسرائيل قد آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض عن سوء نية، وسوء قصد، فإن كثيرا من المتصوفة والمتكلمين أتباع الجهمية، قد شابهوا اليهود في فعلهم، فأخذوا ببعض ما ورد في كتاب ربهم وسنة نبيهم، وتركوا البعض، سواء عن قصد، أو غير قصد، فتركوا النظرة الشاملة الكاملة للقرآن والسنة التي تتوافق مع العقل والفطرة، فجاء اعتقادهم مشوها قاصرا، مضطربا مختلفا باطلا.

• غلاة الصوفية وأكثر المتكلمين جعلوا القرآن عضين.

ومثال ذلك أن بعض الصوفية بدلوا مجال اختيار المسلم من اختيار بين الدنيا والآخرة، أو بين الجنة والنار كما دلت النصوص، إلى اختيار بين الله ﷻ وبين سائر المخلوقات في الدنيا والآخرة.

كما روى عن رابعة العدوية من نساء الصوفية أنها قالت: (ما عبدتك خوفا من نارك، ولا طمعا في جنتك، ولكن حبا لذاتك) [(١)].

---

(١) هى رابعة بنت إسماعيل العدوية العابدة المشهورة، قال ابن كثير: (أثنى عليها الناس، وتكلم فيها أبو داود السجستاني واتهمها بالزندقة، فلعله بلغه عنها أمر، وقد ذكروا لها أحوالا وأعمالا صالحة، وصيام نهار وقيام ليل توفيت بالقدس الشريف سنة ١٨٥هـ). انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٨٦/١٠، نشر مكتبة المعارف، بيروت، وصفة الصفوة لابن الجوزي ٢٧/٤ نشر دار المعرفة، بيروت.

جعلت رابعة حب الذات الإلهية خيارا مطروحا في مقابل الدنيا والآخرة، ومن ثم صرح أغلب الصوفية بأقوال باطلة، حيث زعموا أن العبد ينبغي أن يعبد الله ﷻ دون انتظار للثواب أو خوف من العقاب، بل يعبد الله ﷻ حبا لذاته، فأدى ذلك إلى أن وصلوا إلى درجة يحتقرون فيها من عبد الله ﷻ انتظار لثوابه، أو خوفا من عقابه على السلف وأهل السنة، وقد وصفوه من التجار الذين لا يعطون إلا لانتظار البديل.

بل غالى بعضهم فوصف هذا أهل الحق والسنة بأنهم عبيد السوء الذين لا يوقرون الله ﷻ لذاته، ولكن لما يصلهم من نفع أو نعمة في الآخرة، حتى قال أبو بكر الشبلي الصوفي: (إن لله عبادا لو بزقوا على جهنم لأطفئوها) [(١)].

وقال أيضا: (لو خطر ببالي أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق منى شعره، لكنت مشركا) [(٢)].

ولما رجعوا إلى القرآن الكريم ، لم يرجعوا إلى القرآن كله بالتكامل مع السنة لكي يكون موضوع الاستدلال صحيحا، أو يكون المنهج منهجا نابعا من القرآن والسنة بالفعل، ولكنهم استدلوا ببعض، وتركوا دلالة البعض الآخر معطلة، فاستدل أبو بكر الكلاباذي على

(١) اللمع في التصوف لأبي نصر السراج الطوسي ص٤٩٠، وانظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٤٣٦، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) السابق ص ٤٩١.

هذا الفكر الصوفي بجزء من قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾ التوبة: ١١١. وقال معقبا: (ليعبدوه بالرق لا بالطمع). أو استدلال الآخر على هذه الدعوة الباطلة بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾ الإنسان: ٩ [(١)].

وقطع الآيات عن نهايتها، التي لو استكملت لتغير المعنى تماما، فشراء الله لأنفس المؤمنين وأموالهم إنما كان بعوض وهو الجنة، وعمل المؤمنين كان سببا للوصول إلى هذه الجنة، وإن كان لا يزنها، ولكن هذا لا يمنع المؤمن أن يطمع في فضل الله ورحمته فقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١١١ ﴾ التوبة: ١١١.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ۝١٢ ﴾ الإنسان: ٩/١٢.

وإذا أخذت نصوص القرآن والسنة مجتمعة، فسوف نجد الثناء على

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن اسحاق بن إبراهيم البخاري الكلاباذي ص١٦٨، طبعة دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٦٠م، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود.

عباد الله وأوليائه بسؤال الجنة ورجائها، والاستعاذة من النار وعذابها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ الأنبياء: ٩٠.

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ الفرقان: ٦٥/٦٦.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل: (ما تقول في الصلاة؟ فقال: أتشهد ثم أقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أنا والله ما أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ فقال ﷺ: حولها ندندن) (١).

• **محبة الصوفية وعبادتهم بلا عوض عبادة بدعية.**

ادعى أغلب الصوفية أن العبادة الحقة هي ما كانت دون طلب العوض من الله ﷻ، وأن التطلع إلى الجنة عندهم معصية، وطلبها نقص في حق العابد.

(١) الحديث بهذا اللفظ رواه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب مسألة الله الجنة بعد التشهد وقبل التسليم والاستعاذة بالله من النار ٣٥٨/١ (٧٢٥)، واصل الحديث عند أبي داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة ٢١٠/١ (٧٩٢)، وابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقال في التشهد والصلاة على النبي ﷺ ٢٩٥/١ (٩١٠)، وصححه الشيخ الألباني في كتاب صفة الصلاة.

روي أن جماعة دخلوا على رابعة العدوية يعودونها من شكوى، فقالوا: ما حالك؟ قالت: والله ما أعرف لعلتي سببا، غير أني عرضت على الجنة فملت بقلبي إليها، فأحسب أن مولاي غار علي، فعاتبني فله العتبى[(١)].

ومعنى هذا أن مجرد ميل القلب إلى الجنة يعتبره المتصوفة ذنبا يستوجب العقاب، ومن ثم كان هذا الاعتقاد الباطل دافعا لأن يحولوا معاني الآيات والأحاديث إلى ما يريدون إثباته من أفكارهم البدعية فحاولوا لي أعناق النصوص وبترها للتوافق مع ما ذهبوا إليه، فقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ التوبة:١١١.

استدلوا بهذا المقطع من الآية فقط، وقطعوا الآية عن نهايتها التي ترد قولهم وهي قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ التوبة:١١١. فشراء الله ﷻ لأنفس المؤمنين وأموالهم، إنما كان بعوض وهو الجنة، وعمل المؤمنين كان سببا للوصول إلى هذه الجنة، وإن كان لا يكافئها، ولكن هذا لا يمنع المؤمن أن يطمع في فضل الله ﷻ ورحمته، والسعي لدخول جنته، بل هذا هو التعبد الصحيح.

والقصد أن مثل هذا الاعتقاد المبني على انحراف العقل والذوق، سوف يؤدي إلى الإيمان ببعض الكتاب ورد البعض الآخر وتعطيله عن مدلوله الحقيقي، أو لي أعناق النصوص بالتحريف أو التأويل

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص١٨٤.

المتعسف، لتسير الأدلة في غير اتجاهها، كمطية يركبها صاحب الأهواء ويوجهها حيث يشاء، وهذا العمل كان مسلكا لليهود حتى لعنهم الله ﷻ وقال في وصفهم: ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١ ﴾ الحجر: ٩٠/٩١.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هُمْ أَهْلُ الكِتَابِ، جَزَّءُوهُ أَجْزَاءً، فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ) [(١)].

وقال تعالى في شأنهم: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٨٥ ﴾ البقرة: ٨٥.

وقال عن تأويلهم الباطل: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٨ ﴾ آل عمران: ٧٨.

وقال سبحانه: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٤٦ ﴾ النساء: ٤٦.

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة ٣/١٤٣٥(٣٧٢٩).

وقد فعل أغلب الجهمية من أهل الكلام فعل اليهود لما قال الله ﷻ لهم: ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ البقرة:٥٨. أي حط عنا خطايانا واغفر لنا، فبدلوا كلام الله ﷻ وزادوا نونا وقالوا: حنطة، أي نريد القمح والشعير، فقال الله تعالى في شأنهم: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩ ﴾ البقرة:٥٩. وقال الله ﷻ لأهل الكلام: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ ﴾ طه:٥. فزادوا لاما وقالوا: استولى عليه وقهر. فما أشبه نون اليهود بلام أهل الكلام .

وقد وضع علماء الكلام من الأشعرية والماتريدية وغيرهم لأنفسهم قانونا عقليا يحكمون به على ما ورد في الكتاب والسنة، وخصوصا في مسائل الصفات، فما وافقهم أخذوا به وأيدوه، وما خالفهم أنكروه وأولوه .

قال ابن تيمية: (وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التي جعلوها عقيدة إيمانهم، وردوا نصوص التوراة والإنجيل إليها، لكن تلك الأمانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الأنبياء، أو ما بلغهم عنهم، وغلطوا في الفهم، أو في تصديق الناقل، كسائر الغالطين ممن يحتج بالسمعيات، فإن غلطه إما في الإسناد، وإما في المتن، وأما هؤلاء فوضعوا قوانينهم على ما رأوه بعقولهم، وقد غلطوا في الرأي والعقل، فالنصارى أقرب إلى تعظيم الأنبياء والرسل من هؤلاء، لكن

النصارى يشبههم من ابتدع بدعة بفهمه الفاسد من النصوص، أو بتصديقه النقل الكاذب عن الرسول، كالخوارج والوعيدية والمرجئة والإمامية وغيرهم، بخلاف بدعة الجهمية والفلاسفة فإنها مبنية على ما يقرون هم بأنه مخالف للمعروف من كلام الأنبياء، وأولئك يظنون أن ما ابتدعوه هو المعروف من كلام الأنبياء وأنه صحيح عندهم) [(١)].

وقد عبر ابن تيمية رحمه الله عن وحدة المنهج السلفي وعمومه في معرفة أوصاف الله ﷻ بأصلين شريفين يوضحان تلك القاعدة:

- **القول في الصفات كالقول في الذات.**

والمقصود بهذا الأصل الرد على المعتزلة، فالقول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ﷻ ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان لذات الله ﷻ وجود حقيقي لا يماثل سائر الذوات من المخلوقات، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات، فإذا قال السائل: كيف استوي على العرش؟ وما كيفية أوصافه؟

قيل له: كيف هو؟ فإن قال: أنا لا أعلم كيفية ذاته، قيل له: ونحن لا نعلم كيفية أوصافه، ولا كيفية استوائه، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله، وأنت لا تعلم كيفية ذاته؟

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٦.

وإذا كنت تقر بأن لله ﷻ ذات حقيقية لا يماثله شيء فيها، فكذلك وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوق وبصره وكلامه ونزوله واستوائه وسائر أوصافه [(١)].

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: (أما الكلام في الصفات، فإنَّ ما روي منها في السنن الصحاح، مذهبُ السلف إثباتُها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قومٌ فأبطلوا ما أثبته الله ﷻ، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصدُ إنَّما هو سلوك الطريقة المتوسّطة بين الأمرين، ودينُ الله تعالى بين الغالي فيه والمقصِّر عنه.

والأصل في هذا أنَّ الكلام في الصفات فرعُ الكلام في الذات، ويُحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوماً أنَّ إثبات ربِّ العالمين إنّما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنَّما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: لله ﷻ يدٌ وسمعٌ وبصرٌ، فإنَّما هي صفاتٌ أثبتها الله ﷻ لنفسه، ولا نقول: إنَّ معنى اليد القدرة، ولا إنَّ معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنَّها جوارح، ولا نشبّهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارحُ وأدوات للفعل، ونقول: إنَّما وجب إثباتها؛ لأنَّ التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى:١١.

---

(١) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٢٥.

ولقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص:٤)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟، قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما رضي الله عنهما: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة؛ لأنَّه سؤال عما لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه. وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربّنا إلى السماء الدنيا؟، قيل له: كيف هو؟، فإذا قال: لا أعلم كيفيته، قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره، وتكليمه، واستوائه ونزوله، وأنت لا تعلم كيفية ذاته ؟!)[٢].

وقال أيضا: (ومن أوَّل الاستواء بالاستيلاء فقد أجاب بغير ما أجاب به مالك وسلك غير سبيله، وهذا الجواب من مالك رحمه الله في الاستواء شافٍ كافٍ في جميع الصفات مثل: النزول والمجيء، واليد، والوجه، وغيرها، فيقال في مثل النزول: النزول، معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وهكذا يُقال في سائر

---

(١) انظر العلو للعلو الغفار الذهبي ص٢٥٣، نشر مكتبة أضواء السلف الرياض. وذم التأويل لابن قدامة المقدسي ص١٥ نشر الدار السلفية، الكويت. وانظر إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لبدر الدين بن جماعة ص٤٩، نشر دار السلام. وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/٢٨٤ نشر مؤسسة الرسالة.

(٢) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/٢٥ .

الصفات؛ إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة) [١].

- **بدعة المعتزلة في إثبات الأسماء ونفي الصفات.**

ابتدع أهل الاعتزال من أتباع الجهمية معنى جديدا للتوحيد غير ما عرف بين الصحابة والتابعين وعلماء السلف، فقالوا: إن التوحيد هو إثبات الأسماء ونفي الصفات، فجعلوا القرآن عضين، يقبلون منه ما يوافق آراءهم الفاسدة ويعطلون ما يخالفها.

ومعني قولهم بإثبات الأسماء ونفي الصفات أنهم أثبتوا وجود ذات الله ﷻ فقط دون أي صفة لها، وجعلوا أسماء الله ﷻ الدالة عليها أسماء فارغة من الأوصاف، أو أسماء بلا مسمى، فقالوا: هو العليم، لكنه لا يتصف بصفة العلم، والسميع بلا سمع، وهو البصير بلا بصر، وهكذا سائر الأسماء الحسنى.

ولتبسيط فكرتهم نقول: فلان اسمه سعيد، لكن لو بحثت عن صفة السعادة فيه، فربما يكون سعيدا أو شقيا، فإن كانت الأولى قلنا: سعيد اسم على مسمى، وذاته متصفة بصفة السعادة، وإن كانت الثانية قلنا: سعيد اسم فارغ من المسمى وذات بلا صفة لأنه شقي.

ومن ثم فإن أسماء الله ﷻ عند السلف أسماء على مسمى، فهو الغني الذي يتصف بالغني لا الفقر، وهو القوي الذي يتصف بصفة القوة لا الضعف، وهو السميع يتصف بصفة السمع تعالى الله عن ضدها، وهو

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٤.

البصير الذي يتصف بالبصر وهكذا في سائر الأسماء والصفات، ولهذا كانت أسماؤه حسنى وعظمى، ولا تكون حسنى وعظمى بغير ذلك، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٠.

ودعاء الله بها أن يقول الفقير: يا غني أغنني بفضلك عمن سواك، ولولا يقين الداعي الفقير أن الله ﷻ غني ولا نظير له في غناه ما دعاه، وأن يقول الضعيف: يا قوي قوني، فلولا يقينه أنه سبحانه لا شبيه له في قوته ما دعاه، وهكذا يعلم أصحاب الفطرة السليمة فطرة التوحيد أن الله ﷻ يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء بسبب العظمة في أسمائه وأوصافه كما قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ النمل: ٦٢، فعلم العقلاء أنه لا يجيب المضطر إذا دعاه وهو عاجز لا صفة له مطلقا، أو أسماؤه فارغة بلا مسمى.

وهذا المذهب الخبيث يترتب عليه أن قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ لا قيمة له عندهم، وكذلك تعداد الأسماء الحسنى في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ) [1]. لأن تعداد الأسماء

---

(١) رواه البخاري في الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط ٢/٩٨١ (٢٥٨٥) ومسلم في الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى ٤/٢٠٦٣ (٢٦٧٧).

الحسني، أو الدعاء بها مبني على إثبات الصفات.

وأي نقص في حق الله ﷻ أعظم من ألا يكون له صفة عند المعتزلة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. إن الواحد منا لا يقبل هذا على نفسه، فلو قال لك قائل: أنت لا صفة لك عندي. ربما خاصمته دهرا؛ لأن الفطرة مجبولة على إثبات الأوصاف الحميدة ونفي الأوصاف البغيضة، فمن العجب أن يثبتوا لأنفسهم أجود الأوصاف وينفون عن الله ﷻ الذي ليس كمثله شيء سائر أوصاف الكمال.

ومن ثم لا بد من الإيمان بصفات الله جميعها، كالإيمان بوجود ذاته، والذي لا يعرف كيفية الذات، كذلك فإنه لا يعرف كيفية الصفات، والذي يزعم أن إثبات الصفات يدل على التشبيه فيخاصم بأن إثبات الذات أيضا يدل على التشبيه، فالقول في الذات كالقول في الصفات سواء بسواء[1].

• القول في الصفات كالقول في بعض.

الأصل الثاني المعبر عن وحدة المنهج السلفي وعموم النظر في التعرف على أوصاف الله ﷻ هو أن يقال: القول في الصفات كالقول في بعض. فلا يجوز أن نثبت بعض الصفات، وننازع في إثبات باقي الصفات، أو نردها بالتعطيل والتأويل بغير دليل، لأن منهج السلف

---

(١) انظر المزيد عن هذا الموضوع في المسألة المصرية في القرآن ضمن مجموع الفتاوى ١٢/١٨٣، وبيان تلبيس الجهمية ١/٥١٦، ودرء تعارض العقل والنقل ٥/١٩.

واحد في كل ما ورد من الصفات وسائر الغيبيات، إما أن تثبت الجميع وتكون مؤمنا، أو ترد الجميع وتكون جاحدا معطلا.

أما إثبات البعض ورد البعض تحت أي حجة، فهذا عمل اليهود كما سبق، وهو أشد بطلانا؛ لأنه استخفاف بكلام الله ﷻ ونوع من العبث بكتابه وسنة رسوله ﷺ .

وينبغي أن يحترز بهذا الأصل في معرفة صفات الله من بدعة الأشعرية، ومن سلك سبيلهم في الصفات الإلهية، حيث ابتدعوا تقسيما عجيبا في صفات الله ﷻ على أهوائهم، جعلوا منه ما هو واجب لله ﷻ، وما هو جائز له، وما هو مستحيل عليه. فقالوا: الوجود صفة نفسية، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية صفات سلبية. والقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر صفات معاني أو معنوية.

وبقية الصفات الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية صفات خبرية، تدل على التشبيه والأعضاء والجسمية، وظاهرها غير مراد؛ لأنه باطل قبيح دل على معان كفرية شركية، لا يثبتها العقل لربه، حتى قال قائلهم كما سبق:

وكل نص أوهم التشبيه : أوِّله أو فوِّض ورم تنزيها.

ولو سألناهم: لم أثبتم قدرته سبحانه، وإرادته، وعلمه، وحياته، وكلامه، وسمعه، وبصره مع أنها وردت في الكتاب والسنة، ونفيتم

صفة المحبة، والرضي، والغضب، والاستواء، والعلو، والمجيء، وسائر الصفات الخبرية مع أنها أيضا وردت في الكتاب والسنة؟

قالوا: لأن الصفات التي أثبتناها لا تدل على التشبيه، أما الصفات التي نفيناها تدل على التشبيه، فيقال لهم: إن العقلاء لا يقرون هذا، فالقول في الصفات كالقول في بعض، فإما أن تقولوا بالتمثيل الباطل في الذات وجميع الصفات كما فعل الممثل، وقال: إرادة الله مثل إرادة المخلوق، ومحبته، ورضاه، وغضبه، واستواءه، وعلوه، وسائر الصفات الخبرية مثل أوصاف المخلوق، ومعلوم أن هذا كذب على الله ﷻ وقياس باطل محرم.

وإما أن تقولوا كما قال أهل التوحيد إرادة الله تليق به، وإرادة المخلوق تليق به، والله ﷻ ليس كمثله شيء في إرادته، ومحبته، ورضاه، وغضبه، واستواءه، وعلوه، وسائر الصفات الثابتة في الكتاب والسنة كما هو اعتقاد أهل الحق.

وصاحب المذهب الأشعري إن أتى بحجج عقلية سقيمة ينفي بها ما يشاء ويثبت من صفات الله ﷻ، فالعقل لن يسأم من مقارعة الحجة بالحجة، فإن قال: نفيت الغضب لأنه غليان دم القلب لطلب الانتقام، وهذا لا يجوز على الخالق سبحانه وتعالى، قيل له: والإرادة التي أثبتها ميل القلب إلي جلب منفعة، أو دفع مضرة، وهذا لا يجوز على الخالق سبحانه وتعالى. فإن قال: تلك إرادة المخلوق، أما إرادة

الخالق فليست كذلك، قيل له: وهذا الغضب الذي وصفته غضب المخلوق، أما غضب الخالق فليس كذلك، وهذا لازم في كل صفة أثبتها أو نفاها.

- **بدعة الأشعرية في إثبات بعض الصفات ورد البعض.**

ولا ريب أننا وإياهم متفقون على إثبات صفات الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام لله تعالى. ونحن قطعا لا نعقل من الحياة إلا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك لا نعقل من السمع والبصر إلا أعراضا تقوم بجوارحنا، فكما أنهم يقولون حياته ليست بعرض، وعلمه كذلك، وبصره كذلك، وهي صفات تليق به لا كما يليق بنا، فكذلك نقول أيضا حياته معلومة وليست مكيفة، وعلمه معلوم ليس مكيفا، وكذلك سمعه وبصره معلومان كما يليق به.

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله، ففوقيته معلومة ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر، فإنهما معلومان، ولا يكيفان، كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة، بل هي كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة، أو انتقال يليق بالمخلوق، بل كما يليق بعظمته وجلاله، وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة من حيث التكييف والتحديد، فيكون العبد بها مدركا من وجه، غير مدرك من وجه، مبصرا من حيث

الإثبات والوجود، ولا يعلم من حيث التكييف والتحديد[1].

وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله ﷻ نفسه به، وبين نفي التحريف والتعطيل، والتشبيه التمثيل، وذلك هو مراد الرب تعالى في إبراز صفاته لنا، لنعرفه بها، ونؤمن بحقائقها، وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل.

ولا فرق بين النزول والبصر، الكل ورد في النص، فإن قالوا لنا: في الاستواء شبهتم، نقول لهم في السمع شبهتم، ووصفتم ربكم بوصف المخلوق، فإن قالوا: لا تشبيه بل هو كما يليق به، قلنا في الاستواء والفوقية لا تشبيه، بل ذلك كما يليق به، فجميع ما يلزموننا به في الاستواء، والنزول، واليد، والوجه، والقدم، والضحك، والعجب من التشبيه، نلزمهم به في الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، فكما لا يجعلونها من جنس ما يوصف به المخلوق، فكذلك نحن لا نجعلها من جنس صفات المخلوق.

وليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء، والنزول، والوجه، واليد صفات المخلوقين، فيحتاجوا إلى التأويل والتحريف، ولا يفهموا ذلك في الصفات السبع، فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في السمع والبصر وبقية ما يثبتونه من الصفات صفات

---

(١) انظر أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، لمرعي بن يوسف الكرمي ص ٢٠٢، نشر مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرنؤوط.

المخلوقين، فما يلزمونا في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، نلزمهم به في هذه الصفات، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع، وينفون عنه عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نقول في تلك التي ينسبونا فيها إلى التشبيه، سواء بسواء[١].

ومن أنصف عرف الحق ودان لله ﷻ بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التمثيل والتشبيه والتعطيل والتأويل بغير دليل، وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك؛ لأن تلك الصفات جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه وأولناها، كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، فالقول في الصفات واحد ﷻ لا فرق بين صفة وأخرى.

قال ابن تيمية: (وأما قول القائل: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام.. فلو قدر أن هذا هو حقيقة غضبنا، لم يلزم أن يكون غضب الله تعالى مثل غضبنا، كما أن حقيقة ذات الله ﷻ ليست مثل ذاتنا، فليس هو مماثلا لنا، لا لذاتنا، ولا لأرواحنا، وصفاته كذاته) [٢].

وقال رحمه الله مفصلا لذلك: (فإن قالوا: الغضب هو غليان دم القلب لطلب الانتقام، والوجه هو ذو الأنف والشفتين واللسان والخد

(١) انظر رسالة في إثبات الاستواء والفوقية لأبي محمد عبد الله بن يوسف ص٧٤، نشر دار طويق الرياض.

(٢) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٧/٣.

أو نحو ذلك، قيل لهم: إن كنتم تريدون غضب العبد ووجه العبد فوزانه أن يقال لكم: ولا يعقل بصر إلا ما كان بشحمة، ولا سمع إلا ما كان بصماخ، ولا كلاما إلا ما كان بشفتين ولسان، ولا إرادة إلا ما كان لاجتلاب منفعة، أو استدفاع مضرة، وأنتم تثبتون للرب السمع والبصر والكلام والإرادة على خلاف صفات العبد، فان كان ما تثبتونه مماثلا لصفات العبد، لزمكم التمثيل في الجميع، وإن كنتم تثبتونه على الوجه اللائق بجلال الله تعالى من غير مماثلة بصفات المخلوقات، فاثبتوا الجميع على هذا الوجه المحدود، ولا فرق بين صفة وصفة؛ فإن ما نفيتموه من الصفات يلزمكم فيه نظير ما أثبتموه، فإما أن تعطلوا الجميع وهو ممتنع، وإما أن تمثلوه بالمخلوقات وهو ممتنع، وإما أن تثبتوا الجميع على وجه يختص به لا يماثله فيه غيره، وحينئذ فلا فرق بين صفة وصفة، فالفرق بينهما بإثبات أحدهما ونفى الآخر فرارا من التشبيه والتجسيم قول باطل، يتضمن الفرق بين المتماثلين والتناقض في المقالتين) [١].

• أسلم الضوابط التي وضعت للتعريف باعتقاد السلف.

إن من أسلم الضوابط الشمولية التي وضعت لتوضيح اعتقاد السلف الصالح في توحيد الصفات هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: (ومذهب السلف أنهم يصفون الله ﷻ بما وصف

(١) رسالة في مسألة تأويل الصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٤٦.

به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله ﷻ به من ذلك فهو حق، ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق، وأفصحهم في البيان والدلالة والإرشاد، وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله) [(١)].

لقد جاءت هذه الكلمات معبرة عما دلت عليه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الباب بمجموعها، منبها على مواطن الانحراف، وتسلسله من أعلاه إلي أدناه في عبارة بليغة موجزة.

ونحن لو تأملنا تلك المحذورات لظهر لنا مدى الدقة في التعبير عن المنهج السلفي، وكيف أخطأ من ضل عن طريقهم من المخالفين حيث توهموا في بعض الصفات، أو كثير منها، أو أكثرها، أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين، ثم يريدون أن ينفى ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير كما تقدم، أولها: أنه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/١٩٥، وشرح العقيدة الأصفهانية ١/٢٥ نشر مكتبة الرشد الرياض، والعقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى ٣/١٣٠، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ضمن مجموع الفتاوى ١١/٢٥٠، وقاعدة في الكلام علي المرشدة لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى١١/٤٨٠.

ثم عطل بتمثيله هذا ما دلت عليه، وبقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله ﷻ، فيبقى مع جنايته على النصوص وظنه السيئ الذي فهم به التمثيل الباطل من كلام الله ورسوله ﷺ، يبقى وقد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله ﷻ والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى.

ثم نفى تلك الصفات عن الله ﷻ بغير علم فيكون معطلا بالفعل لما يستحقه الرب. ثم يصف الرب سبحانه بنقيض تلك الصفات مما اخترعه بعقله من صفات الأموات والجمادات، أو صفات المعدومات، فيجمع في كلام الله وفى الله ﷻ بين التعطيل والتمثيل، فيكون ملحدا في أسماء الله وآياته [(١)].

هذا الضابط الذي وضعه شيخ الإسلام ابن تيمية يعد بحق من أسلم الضوابط في توحيد الصفات؛ لأنه اشتمل على قواعد مذهب السلف الصالح، وحذر من التمثيل والتكييف والتعطيل والتحريف والتفويض، بحيث تنكشف أنواع التدرج في الضلال والانحراف الذي وقع فيه المخالفون من أتباع الجهمية.

وقد بان لنا أن أعلاها وأشرها وأقبحها هو التأويل الباطل الذي سماه شيخ الإسلام ابن تيمية بالتحريف، ولذلك بدأ به جملة المحذورات لأنه مبني على التعطيل، والتعطيل سببه التكييف،

---

(١) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٤٨.

والتكييف مرده إلى التمثيل، ثم حذر بعد ذلك من تفويض معاني النصوص، والنظر إليها على أنها كاللغة الأعجمية والألغاز والأحاجي، وأن ذلك مخالف لمذهب السلف، وبين أيضا شمولية هذا المنهج لكل ما ثبت عن رسول الله ﷺ في باب الأسماء والصفات، فمن أراد النجاة فعليه إتباع من سلف وترك ما أحدثته الجهمية وأتباعهم من الخلف.